الفصل الثاني

تراثه الفكري

آثار ابن الخطيب

مؤلفات الوزير العبقرى الغرناطى ابن الخطيب متعددة الفنون ، ما بين شعر ونثر ، وتاريخ ، وطب ، وموسيقى ، وسياسة ، وغيرها ، وهى ـ على وجه التقريب ـ تربو على الخمسين مؤلفاً ، ففى الترجمة التى عقدها ابن الخطيب لنفسه فى آخر كتابه « **الاحاطة فى أخبار غرناطة** » أورد أسماء مؤلفاته ، بيد أن قدراً هاماً من هذه المؤلفات قد أعدم قبله ، على يد الوزير ابن زمرك والقاضى النباهي بغرناطة ، عام 773 هـ (1371 م) ، ومعظم هذه الكتب تتعلق بعلوم الأخلاق والعقائد ، أما مؤلفاته التى بين أيدينا الآن فهي القسم الأدبى والتاريخى فى الغالب ، وقد حاول كثير من المؤرخين والمستشرقين حصر هذه المؤلفات فى فهارسهم ، ولكن حياة ابن الخطيب السياسية ، والتقلبات التى تعرض لها جعلت هؤلاء المستشرقين أو المؤرخين لا يفرقون بين ما ألّفه الرجل فى المغرب ، وبين ما ألفه فى الأندلس . ويرى « **ليفي بروفنسال** » **أن مؤلفات لسان الدين قد بلغت حوالي ستين كتاباً، ولكن لم يبق منها الا الثلث تقريبا.**

هذا ، وإن كتب ابن الخطيب ـ سواء منها ما هو مخطوط لم يحقق بعد ، أم ما حقق ونشر ـ لتحتل مركزاً ممتازاً بين المصادر التاريخية المعتمدة ، لاسيما منها ما يتناول هذا الجزء من الغرب الاسلامى فى المغرب والأندلس ، فقد أنارت السبيل أمام المؤرخين والعلماء ، ويسرت لهم بحوثهم عن هـذه البقاع ، لقلة المصادر الأخرى المعاصرة ، ولأن ابن الخطيب قد عاش هـذه الحقبة من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

ونزيد فنقول : إن هذه المؤلفات العديدة ـ بصفة عامة ـ ما تـزال تحظى بالتقديـر والبحث منذ عصر وزيرنا حتى الآن ، لا عند العرب فقط ، بل وعند غيرهم أيضاً ، فذخائر ابن الخطيب تراث مشاع ، يدرسه المستشرقون على اختلاف أجناسهم ، ويجلون كنوزه ، ويبرزونها الى الفكر الانسانى فى العالم، ليشهد طلاب الأدب والمعرفة ما تمخضت عنه عقلية الرجل الواسعة ، مما تحتويه المكتبات العربية والأجنبية منها .

ويجدر بنا أن نعرض هنا موجزاً لأهم آثار ابن الخطيب مما ينسب إليه تاليفه ، سواء أكان موجوداً أم مفقوداً ، وسواء أكان مخطوطاً أم تم تحقيقه ونشره ، والذى لا أعتقد أنه بيان شامل لكل مؤلفاته ، فقد يتسنى لباحث آخر أن يعثر على مؤلفات أخرىله زيادة عما أعرض منها مما فاتنى تحصيله (I) :

I ـ « **الاحاطة فى أخبار غرناطة** » .
(تاريخ وتراجم)

من أشهر مؤلفات ابن الخطيب ، توجد له نسخ فى كل من القاهرة (الأزهر ودار الكتب) وتونس ، والرباط ، ومدريد ، والاسكوريال ، وعنوان الكتاب ينبىء عن موضوعه ، فقد تناول فيه أخبار هذه المدينة الشهيرة، تاريخياً وجغرافياً وسياسياً واجتماعياً وأدبياً ، منذ الفتح العربى لاسبانيا حتى عصر المؤلف (دولة بنى الأحمر) ، منتهياً منه إلى عهد السلطان الغني بالله محمد

---

20) هذا القدر من مؤلفات ابن الخطيب اعتمدنا فى ايراده على المصادر التالية :

ا ـ نفح الطيب ، للمقرى ، ج 4 ص 653 ـ 657 .

ب ـ أزهار الرياض ، للمقرى ، ج I ص 189 ـ 190 .

جـ ـ فهرس بروكلمان C. BROCKELMAN : Geschichte der Arabischen Li teratur : (1948) 13. 11. p. 339.

د ـ فهرس الغزيزى CASIRI : Bibliotheca Arabi co-Hispana Escurialensis

هـ ـ فهرس ديرنبور H. DIRENBOURG : Les Manuscrite Arabes de l'Escurial

F. PONS BIOGYES : Ensayobio - Bibliogr afico sobre los Historiodores y, V. I. & V. III. Geografas Arabigo - Espanales (Madrid 1898) P. 334 - 347.

و ـ ابن الخطيب من خلال كتبه ـ للأستاذ التطوانى (جزءان) المغرب 1948 .

الخامس ثامن ملوك بنى نصر ، حيث وزر له مرتين ، ويتألف هذا الكتاب من خمسة عشر سفراً ، وهي فى مجموعها قسمان ، كما جاء بنهاية المقدمة :

1) « القسم الأول فى حلي المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن » ، وهو الخاص بالعاصمة « غرناطة » ، ويشغل هذا القسم عشرين لوحة (أربعين صفحـة) .

2) « القسم الثانى فى حلي الزائر والقاطن ، والمتحرك والساكن » ، وهو لب الكتاب ، ففيه تراجم الملوك والوزراء والقواد والعلماء والأدباء ، ومن إلى هؤلاء ، ملتزماً فى هذا الترتيب الأبجدى لا التاريخى . ويرجع تأليف ابن الخطيب للاحاطة إلى ما قبيل عام 760 هـ ، ولكنه لم يفرغ منه إلا فى أواسط عام 765 هـ ، ففى نهاية ترجمته لنفسه يحدثنا عن فراغه من « الاحاطة » بقوله : « والحال إلى هذا العهد ، وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعمائة ، على ما ذكرته » . هذا، وتوجد من الاحاطة نسخة مطبوعة فى جزأين (القاهرة 1319 هـ)، ثم حقق الأستاذ عبد الله عنان الجزء الأول منها ، بتحقيق جديد ، ضمن مجموعة (ذخائر العرب 17) نشر دار المعارف بالقاهرة عام 1955 م .

2 ـ « **الاماطة عن وجه الاحاطة ، فيما امكن من تاريخ غرناطة** » .
(تاريـخ)

ورد ذكر هذا المؤلف فى كتاب ابن الخطيب (اللمحة البدرية) ، فربما كان مختصراً لكتابة (الاحاطة) ، على أنه لم يرد اسمه ضمن كتبه التى ذكرها فى هذه الاحاطة .

3 ـ « **مركز الاحاطة ، فى أدباء غرناطة** » .

مؤلف أورده المستشرقون فى فهارسهم ، ويعتقد أنه تكملة لتراجم الاحـاطـة .

4 ـ « **ريحانة الكتّاب ، ونجعة المنتاب** » .
(ألوان أدبية وسياسية)

عبارة عن مقتبسات من مؤلفاته الأخرى ، مثل بستان الدول ، ورقم

الحلل ، وغيرهما ، وتوجد لهذا المؤلف الضخم أكثر من مخطوطة ، فى كل من الرباط والقاهرة ومدريد والفاتيكان ، بيد أن نسخاً كاملة منه موجودة فى الخزانة العامة بالرباط ، بالاضافة الى أخرى بمكتبة مدريد الوطنية .

5 ــ « اعمال الأعلام ، فى من بويع قبل الاحتلام ، من ملوك الاسلام ، وما يجز ذلك من الكلام » .

(تاريــخ)

وهو مؤلف فى التاريخ الاسلامى ، يقع فى جزأين ، أولهما خاص بالشرق الاسلامى ، وثانيهما خاص بتاريخ الأندلس ، ولاسيما ملوك الطوائف ، وبنى نصر ، وملوك النصارى ، وذلك على سبيل الايجاز . . . ، وقــد أشار المؤلف فى مقدمته الى أن هذا الكتاب هو آخر مؤلَّف له ، فقد وضعه فى الفترة الأخيرة من حياته وقبيل مقتله بالمغرب ، استجابة للظروف التى كان يجتازها حينئذ ، ثم انقلب الوضع بعدها ، وكانت نهايته على نحو ما سبق تبيانه .

توجد للكتاب نسخة فى مدريد ، نقلا عن نسخة الجزائر ، وقد حقق الجزء الأول منه والخاص بتاريخ الأندلس ــ الأستاذ ليفى بروفنسال سنة 1934 م وحقق الجزء الثانى منه الدكتور العبادى والأستاذ محمد ابراهيم الكتانى ــ وهو الخاص بتاريخ المغرب ، العصر الوسيط ــ (دار الكتاب بالمغرب عام 1967 م) .

6 ــ « الكتيبة الكامنة ، فى من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة » .

(تراجــم)

هذا الكتاب عبارة عن تراجم لطائفة من الأدباء والعلماء والكتــاب المعاصرين للمؤلف ، متضمناً نماذج من آثارهم شعراً ونثراً ، ويقع المؤلف فى ست وثمانين لوحة بمكتبة مدريد الوطنية ، وهى نسخة من مخطوطة الجزائر ، وقد حقق هذا الكتاب الدكتور إحسان عباس سنة 1963 م ، (دار الثقافــة ببيروت ــ المكتبة الأندلسية 8) ، وأثبت لنا أن ابن الخطيب كان يحرر الكتيبة فى جمادى الآخرة 774 هـ ، معتمداً فى ذلك على قول المؤلف نفسه فى (الورقة 85 ب) : « . . وكل من ذكر الى هذا الحد من المشايخ والأتراب ، فقد تسابقوا تسابق الغراب الى التراب . . ، ومن يجرى ذكره بعد هذا فهم بقيد الحياة لتمام جمادى الآخرة عام أربعة وسبعين وسبعمئة » ، كذلك استنتج المحقق

من دراسته الدقيقة لمقدمة هذا الكتاب أن ابن الخطيب ألفه فى سن عالية بعد أن نفض عن كاهله غبار السياسة ، مستدلا بقول ابن الخطيب فى المقدمة « . . . واستوعبت من صحبة المغرب حصتى ، وختمت بالدعاء قصتى ، ونزلت عن منصتى ، وابتلعت غصتى (21) » .

7 ـ « **اللمحة البدرية ، فى الدولة النصرية** » .
(تـاريخ)

مؤلف تاريخى موجز ، يدور حول أخبار ملوك بنى الأحمر ، منذ قيام دولتهم حتى عام 765 هـ . . ، والكتاب مطبوع فى القاهرة عام 1947 م .

8 ـ « **رقم الحلل ، فى نظم الدول** » .
(شعـر)

نظم شعرى فى ألف بيت ، يتناول فيه المؤلف تاريخ الدولة الاسلامية بالمشرق والأندلس ، مذيلا كل قصيدة بشرح لها ، ويقع المؤلف فى مجلد واحد ، طبع بتونس عام 1316 هـ .

وتجدر الاشارة الى أن هذا الكتاب هو نفسه « الحلل المرقومة » ، تبعاً لما جاء فى نسخة مكتبة مدريد الوطنية ، والتى نسخت عن مخطوطـة الاسكوريال (رقم 1776) .

9 ـ « **مفاخرة بين مالقة وسلا** »
(اجتماعيات)

10 ـ « **خطرة الطيف ، فى رحلة الشتاء والصيف** »
(تاريخ لرحلة ملكية)

---

21) راجع : (الكتيبة الكامنة) لابن الخطيب ، تحقيق الدكتور احسان عباس ص 13 ـ 15 وهذا يخالف ما ارتآه الأستاذ محمد عبد الله عنان فى مقدمة « الاحاطة » من أن « الكتيبة » قد ألفها ابن الخطيب فى باكورة حياته ، ونحن نميل الى الأول .

11 ـ « نفاضة الجراب ، فى علالة الاغتراب »

(تاريخ مغربى)

يقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، أولهـا ما زال مفقوداً ، وقد نشر الدكتور العبادى الجزء الثانى منه بمعرفة دار الكاتب العربى بالقاهرة 1968 م . أما الجزء الثالث فقد عثر عليه الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤخرا .

12 ـ « معيار الاختيار ، فى ذكر المعاهد والديار » .

(الذى هو بين أيدينا الآن) .

13 ـ « مقنعة السائل ، عن المرض الهائل » .

(طـب)

عبارة عن رسالة وصف فيها ابن الخطيب الوباء الكبير ، الذى اجتاح الأندلس وحوض البحر الأبيض المتوسط ، عام 749 هـ (1348 م) ، وسقط فيه جمهرة من أعيان الأندلس والمغرب وعلمائهما ، وقد نشرت هذه الرسالة مع ترجمتها للألمانية بمعرفة مجلة اكاديمية العلوم الباڤارية (1863 م) .

14 ـ « الاشارة الى أدب الوزارة »

(سياســـة)

مؤلف تحدث فيه لسان الدين عن واجبات الوزير ، وما ينبغـــي توافره من الشروط فيمن يتقلد هذا المنصب ، وبالكتاب مقامة «السياسة» ، والكل ما زال مخطوطا بالأسكوريال ، وذلك ضمن المخطوطة (554) ، وقد فرغت من تحقيقـه ، مردفا به « مقامة السياسة » لنفس المؤلف . وسيظهر ذلـك قريبـا .

15 ـ « عمل من طب لمن حب » .

(طـب)

مؤلف طبي كبير ، تكلم فيه المؤلف عن الأمراض المختلفة ، وشخّص الاصابات ، كما شرح وسائل الوقاية ، وسبل العلاج ، والكتاب مهدى من ابن

الخطيب الى السلطان أبى سالم المرينى ، فقد ألّفه من أجله عام 761 هـ ، وهو مخطوط توجد منه نسخة بمدريد ، ويقع فى 151 لوحة من الحجم الكبير .

16 ـ « **المسائل الطبية** » .

17 ـ « **اليوسفى فى الطب** » .

18 ـ « **رجز الأغذية** » .

19 ـ « **رسالة تكوين الجنين** » .

20 ـ « **الرجز فى عمل الترياق** » .

21 ـ « **الوصول لحفظ الصحة فى الفصول** » .

22 ـ « **رجز فى الطب** » .

23 ـ « **البيطرة والبيزرة** » .

وكلها رسائل طبية (16 ـ 23) ، ألفها ابن الخطيب فى مناسبات شتى ، وأورد ذكرها فى كتابه الاحاطة ، كما أشار الى مُعظمِها المقرى فى مؤلفيْه نفح الطيب ، وأزهار الرياض .

24 ـ « **عائد الصلة** » .

(تراجـم)

يحتوى على تراجم لطائفة من الأعلام ، ممن لم يرد لهم ذكر فى كتاب « الصلة » لابن الزبير .

25 ـ « **خلع الرسن ، فى وصف القاضي ابي الحسن** » .

(رسالة شخصية)

فى وصف القاضى أبى الحسن ، هذه رسالة كتبها ابن الخطيب ، جواباً عن الرسالة التى وجهها إليه هذا القاضى النباهى ، إثر مغادرة الأول للأندلس نهائياً ، والتجائه الى المغرب دون علم سلطان غرناطة يومئذ (الغني بالله محمد الخامس) .

26 ـ « **التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى** » .

(تراجم وتاريخ)

وهو عبارة عن تراجم لأعيان الأندلس فى القرن الهجرى ، وتنويه بمملكة بنى الأحمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف ، وقد اعتمد المقرى على هذا الكتاب فى كثير من التراجم التى أوردها فى كتابه « نفح الطيب » ، ويوجد للتاج المحلى نسخة مخطوطة ضمن مخطوط كبير بالاسكوريال (554 الغزيرى).

27 ـ « **بستان الدول** » .

(تاريخ سياسى)

كتاب سياسى شامل ، تحدث فيه المؤلف عن القضاء ، والحرب ، والصناعة وأهلها ، وطبقات الشعب ، وأفرد لكل شجرة ، بحيث ألف من المجموع هذا « البستان » ، ويبدو أن الظروف لم توات ابن الخطيب حتى يكمله .

28 ـ « **السحر والشعر** » .

(أدب)

مجموعة مختارة من شعر المشارقة والمغاربة ، فيما يتعلق منها بالوصايا والمواعظ ، اختارها ابن الخطيب لولده عبد الله حيث أهداه اليه يافعاً ، والكتاب ما زال مخطوطاً فى كل من مدريد والرباط (المكتبة الكتانية) ، وهو لدىّ الآن تحت التحقيق والدراسة .

29 ـ « **كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان** » .

(وثائق تاريخية)

مؤلف تاريخى ، يضم مجموعة من الرسائل السياسية ، بعث بها ابن الخطيب على لسان السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، الى معاصره السلطان أبى عنان فارس المرينى ، فيما عدا وثيقة عقد زواج نصرى ، صدّر بها كتابه هذا تلو المقدمة ، وقد قمت بتحقيق هذا المؤلف ، من نسخة يتيمة بالاسكوريال برقم(1712 الغزيرى) وتقع فى ستين لوحة ، ونشرته دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة 1968 م .

30 ـ « **أوصاف الناس في التواريخ والصلات** » .

(تراجـــم)

كتاب يشتمل على تراجم أدبية تاريخية ، توجد له مخطوطة جيـــدة للغاية بمكتبة الاسكوريال بمدريد ، قمت بتصويرها ، وقد فرغت الآن من تحقيقه، وسيظهر قريباً .

31 ـ « **تافه من جمّ ، ونقطة من يمّ** » .

(شعـــر)

مصنف من أشعار أستاذ ابن الخطيب الرئيس أبى الحسن علي ابن الجيّـــاب .

32 ـ « **الدرر الفاخرة ، واللجج الزاخرة** » .

(شعـــر)

مختارات من شعر صديقه وأستاذه أبى جعفر بن صفوان .

33 ـ « **جيش التوشيح** » .

(موشحات)

مجموعة من الموشحات الأندلسية ، جمعها ابن الخطيب فى كتـــاب أسماه بهذا الاسم ، ونسبها لأصحابها من أئمة التوشيح فى الأندلس ، وقد نشر فى تونس 1967 م .

34 ـ « **روضة التعريف بالحب الشريف** » .

(تصوف)

مؤلف فى التصوف ، يعزو المؤرخون الى هذا الكتاب أنه كان وثيقة الاتهام بالالحاد والزندقة ضد ابن الخطيب ، حسبما أملت الأهواء عـــلى من صاغوا صك الاتهام للرجل ، حتى سيق إلى الموت من أجله ، وتوجد من الكتاب نسخة مخطوطة بالرباط ، بيد أنها ناقصة ومشوهة (22) .

---

22) لقد عثر الأستاذ عبد القادر أحمد عطا على نسخة مخطوطة لهذا الكتاب بالمدينة المنورة ، بمكتبة الشيخ عارف حكمت ، ولما كانت النسخة في درجة جيدة فقد اتخذها أساساً لتحقيق الكتاب ، مسترشداً معها بنسخة أخرى عثر عليها بمكتبة الظاهرية بدمشق ، الى جانب نسخة أسعد أفندى بتركيا المصورة بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، وقد نشر المحقق « روضة التعريف » بمعرفة دار الفكر العربى بالقاهرة عام 1968 م .

35 ـ « **استنزال اللطف الموجود ، فى سير الوجود** » .
(تـصـوف) .

36 ـ « **فتات الخوان وسقط الصوان** » .
(رسالة شعرية) .

37 ـ « **المختصر فى الطريقة الفقهية** » .
(ديـن) .

38 ـ « **مثل الطريقة ، فى ذم الوثيقة** » .
(رسالة شخصية)

39 ـ « **الألفية فى أصول الفقه** » .
(رسالة دينية شعرية فى ألف بيت) .

40 ـ « **النفاية بعد الكفاية** » .
(رسالة أدبية) .

41 ـ « **كتاب المحبة** » .
(اجتمـاع) .

42 ـ « **المنح الغريب ، فى الفتح القريب** » .
(أدب) .

43 ـ « **تلخيص الذهب ، فى اختيار عيون الكتب** » .
(أدب) .

44 ـ « **مساجلة البيان** » .
(تراجم أدبية) .

45 ـ « **المباخر الطيبية ، فى المفاخر الخطيبية** » .
(أدب) .

هذه المؤلفات (35 ـ 45) وردت فى فهارس المستشرقين ، كما أشار إليها بعض المؤرخين القدامى .

46 ـ « **رسائل فى الموسيقى** » .

47 ـ « **رسائل فى الفلسفة** » .

48 ـ « **رسائل فى الفقه** » .

وهذه رسائل أخرى متفرقة ، ذكرتها الفهارس أيضاً ، ولم يصل إلينا منها شيء .

49 ـ « **الصَّيِّب والجَهَام ، والماضى والكَهَام** » .
(شعـر)

وهو عبارة عن « الديوان » الذى نسبه إليه حاجى خليفة ، فى كتابه « كشف الظنون » ، وتوجد للكتاب ـ بهذا العنوان ـ نسخة مخطوطة فى مكتبة القرويين بفاس . وقد حقق أخيرا بالجزائر ، وتم طبعه .

50 ـ « **ظلّ الغمام ، المقتضب من الصيّب والجَهَام** » .
(شعـر)

وهو مختصر لديوانه السابق ، لم يعثر عليه بعد ، ولكن ورد ذكره ضمن مؤلفاته فى الاحاطة .

51 ـ « **طرفة العصر ، فى اخبار دولة بنى نصر** »
(تـاريخ)